وتأثيره في كيان الأمة

للدكتور شريف عسيران

بحثنا في مقالنا السابق مشكلة زيادة السكان وبينا بالأرقام الصحيحة ان لا زيادة حقيقية في الوقت الحاضر تدعو الامم الى النزاع والخصام وتحديد النسل بالوسائل الوحشية . ونتطرق الآن الى ناحية هذا التأثير الاكبر في كيان الامم وقوتها الجسدية والعقلية وهي نوع المواليد لا عددهم

ان الزيادة التي يكثر فيها المجانين والحمق والبله والعمي وضعفاء الجسم والمخابيل والعاطلون والشحاذون والمجرمون والمدمنون لا خير فيها وهي انتحار مدمن للامة . وقد بينا في مقالنا « العلل الوراثية الجسمية والعقلية »[1] مدى انتشارها في مختلف الامم . ومما لا شك فيه ان الامة التي تسوادها من احد عناصرها خير من التي تسوادها من أشدها فسادا

اذا دققنا النظر في مواليد الامم رأينا الطبقة غير المتعلمة اخصب من المتعلمة ويعزى ذلك الى عوامل عديدة أهمها (١) عدم المساواة في انتشار طرق تحديد النسل بين الطبقة المتعلمة وغير المتعلمة فالاولى اكثر الماماً بها واستعمالاً لها (٢) تحصل ارباب الحرف أو الطبقة غير المتعلمة على اعظم حد دخلهم وهم في شرخ الشباب فليس ما يدعوهم الى تأخير سن الزواج حالة ان الطبقة المتعلمة لا تبلغ هذه الدرجة قبل سن الاربعين (٣) ان مشكلة المتعلمين الاقتصادية أعقد من مشكلة غير المتعلمين لان مستوى الطبقة الاولى الاجتماعي أعلى من مستوى الثانية فضلاً عن ان الاخيرة تعتمد على اولادها لاعالتها في شيخوختها اكثر من الاولى[2] . فهذه العوامل وغيرها تشجع كثرة تناسل الطبقات غير المتعلمة وتقلل نسل المتعلمة وتكاد بعض اصناف هذه الطبقة تبلغ العقم كما سنبين

ان عدد خريجات الجامعات اللاتي يتزوجن بعد تخرجهن يبقى قليلاً على الخمسين بالمائة وقد وجد « هومز » ان نسبة خريجات جامعة كلفورنيا اللاتي تزوجن بين سنة ١٨٧٠ — ١٩١٠ كان ٥٦ بالمائة ونسبة غيرها من الجامعات تقاربها ونجد النسبة نفسها في النساء اللاتي فيهن درجة من الذكاء تجعل كسب العيش لهن ميسوراً[3] اما نسبة الرجال الذين يتزوجون فانها أعلى من

---

(١) المقتطف مارس ١٩٣٨ : ص٣١٣ (٢) ملخص من دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشر تحت لفظة Eugenics (٣) The Eugenic Predicament, p. 34

النساء اذ تقرب من ثلثين بالمائة وتدل البحوث Anderson في جمعيات نقابية ومصارف المانية ان معدل العمر الذي يتزوج فيه اساتذتها هو بين الثلاثين والثلاثين من العشرين ويتأخر على الاجمال بعض الزواج اصحاب الحرف المانية اكثر من اصحاب المهن التي تتطلب مهارة يدوية (Skilled artisans) وهؤلاء يتأخرون اكثر من تأخر ارباب المهن التي دون ذلك فيقل نسل الطبقة الاولى ويكثر نسل الثانية

ان نقص المواليد الذي ابتدأ في اكثر الممالك الاوربية منذ اواخر القرن التاسع عشر من اهم الحوادث التي تستوقف الانظار في تطور النوع البشري الحديث ومن ابرز صفات هذا النقص ان معظمه بين الطبقات الممتازة . ويظهر من احصاءات Wheelock ان معدل مواليد الاسر الارستقراطية والمثقفة بلغ ٧ في انكلترا في القرن الثامن عشر وهبط سنة ١٨٨٠ الى ٤٫٥ وسنة ١٨٩٠ الى ٣ ويظهر من استقصاء Dunlap and Kuhn مواليد لندن ان الاسر الكبيرة كانت منتشرة بين الطبقات الرفيعة والوضيعة والارجحية للاولى ثم هبطت وقدمت سنة ١٩٠١ وهكذا شأن اكثر الامم وقد وجد Cattell في اثناء تتبعه ٢٩١ اسرة من الاسر الاميركية المثقفة بقافة عالية ان معدل مواليد الاسرة الواحدة ١٨٨ ويقدر ان الف اسرة اميركية من هذا النوع لا تخلف اكثر من ٣٥٠ حفيداً اذا حذفنا منها من لا يقترن من الزوج . ووجد Cattell مكررة ان معدل اولاد اساتذة المدارس العالية في المانيا سنة ١٩١٦ يبلغ مقدار ٢٫٤ . وبلغ نسل اسر خريجي جامعات هارفرد سنة ١٨٨١ — ١٨٩٠ مقدار ٢٫٠٦ لكل اسرة وجامعة ييل ٢٫٠٤[1] ومن اقوال كاتل المأثورة : لخريج جامعة هارفرد ثلاثة اولاد حي ولخريج جامعة فاسار نصف بنت

ان جميع الاحصاءات تدل على نقص باوز بين الطبقات المثقفة التي يجب ان يتعدر منها خيرة ابناء الامة . وقد وجدوا بجامعة كليفورنيا ان عدد مواليد تلامذتها يتناقص بنسبة درجة تهذيب الآباء فكلما زاد التعليم نقصت المواليد وعكس ذلك نسبة مواليد الذين لم يتجاوز آباؤهم التعليم البسيط فانها تبلغ ٤٫٦٧ واذا كان الابوان متعلمين تعليماً كافياً فتبلغ النسبة ٣٫٣٨ واذا كانا خريجي احدى الكليات فالنسبة ٣٫١٠ وهلم جرًّا . وقد درس Stevenson حسب الطبقات الصناعية في انكلترا وويلز سنة ١٩١١ فتوصل الى النسب الآتية :—

	عدد اولاد الاسرة الواحدة	عدد من عاشوا منهم
الطبقة العليا والوسطى [2]	١٫٩٠	١٫٨٨
الطبقة السفلى	٢٫٤١	٢٫٠٥
طبقة الحرف الصناعية (Skilled)	٢٫٧٩	٢٫٣٢
طبقة الحرف شبه الصناعية (Semi-skilled)	٢٫٨٧	٢٫٣٧
طبقة الحرف الدنيئة	٣٫٣٧	٢٫٦٨

(١) The Eugenic Predicament, p. 88 (٢) The Eugenic Predicament, Holmes, p.85-88

وتوصل غيره الى النتيجة نفسها في انكلترا والولايات المتحدة ولا حاجة الى إثبات اتحاد هم اذ يكفينا النموذج المذكور

ليس من المعقول ان يصير الاحمق استاذاً بالرياضيات ولا يستطيع ان ينجح حتى في حرفة بسيطة كالنجارة او تصليح السيارات فحدة الحرف الدنيئة . ومن الممكن ان تجري الظروف ذوي المواهب الى احتراف حرف لا تتفق وكفاءتهم ولكن لا بد ان يبلغوا يوماً ما هم أهل له . ان ارتقاء الشخص بارتقاء المهنة ينطبق على البلاد الصناعية التي يتيسر لعموم وسائل التعليم على السواء ويتاح لكل منهم نفس الفرص التي تتاح للآخر فيتوصل كل فرد الى الدرجة التي يستحقها والبلاد الاميركية مثال لهذا النوع . ولكن هذا الحكم لا ينطبق على الاقاليم الزراعية حيث معظم الاهلين جهلاء لا تتاح لهم وسائط التعليم والتثقيف كالبلاد الروسية مثلاً[1]

ومن رأي هومن ان ذكاء الفرد يناسب مع نوع المهنة يعلو بعلوها ويدنى بدنيها وتحصيل ذلك بطريقة غير مباشرة فمن به موهبة الرياضيات او الموسيقى او الرسم تدفعه عوامله الطبيعية الى اهتمام الفرص لاعتناقها ومن لا قابلية فيه لا يستطيع احترافها فيحترف ما هو ادنى منها وهذه القاعدة اجمالية لا كلية وقد اثبتها امتحانات الذكاء في الجيش الاميركي في اثناء الحرب العامة التي مع ما يشوبها من النواقص افادت بعض الفائدة من هذه الناحية . فالاشخاص المنتسبين الى الحرف العالية كانوا أعم كماً بمقاييس الذكاء واصحاب الحرف التي لا تتطلب مهارة جاؤوا دونهم والتجارون والبائعون والطباخون والخدامون كانوا بين بين بحسب مهنهم[2] واذا استقصينا سير اذكياء الرجال وجدنا نسبة كبيرة منهم متحدرة من طبقة متعلمة ونسبة اقل من طبقة رجال المال والاعمال اي كبار التجار واصحاب الشركات واصرارهم . ومن النادر ان نجد نوابغ متحدرين من طبقة الذين يتعهدون المهن الدنيئة . وقد جاءت نتيجات De Candolle لاعضاء المجمع العلمي الافرنسي وتتبع Galton لسير ٦٢٣ من مشهوري فرنسا وغالتون لعلماء انكلترا وهافلوك الس لنوابغ انكلترا مؤيدة لهذه النتائج وتوصل Yerkes الى النتيجة نفسها بتتبع انساب الرجال المذكورين في كتاب مشهوري اميركا Who's who وقد اجرى Dut and Thomson امتحان الذكاء على ١٣٤١٩ شخصاً بين سن ١٠ — ١٣ في مدارس Northumberland فوجد حاصل الذكاء ينقص كلما تدنت حرف آباء الاولاد الذين اجريت عليهم هذه التجارب بالنسب الآتية

اولاد اصحاب المهن الحرة (٣) Professional Classes ١١٢٫٢

(١) The Eugenic Predicament p. 90-91

(٢) The Eugenic Predicament, p. 93

(٣) عائلتان اميركيتان يضرب بهما المثل بالانحطاط العقلي

تجّار الصناعات Industrial Managers	١١٠٤٠
تجار الجملة	١٠٩٣
الجنود والبحرية ومستخدمو البريد	١٠٤٩
تجار المفردات	١٠٥٠٠
الصناعيّون Industrials	١٠٢٩
الفلاحون وعمال الزراعة	٠٩٧٠٩
عمال الحرف البسيطة Unskilled	٠٩٦٠٠

وتوصل تيرمان الى تتبُّع تقرب منها وتتبع بروكن Brooken نسب ٣٩٠ تلميذاً من ضعيفي العقول في مدارس مونيخ الخاصة فوجد اكثرهم من سلالة آباء يمتلون الحرف البسيطة وكان عددهم ثلاثة اضعاف الاولاد الذين يتولى آباؤهم الحرف المهمة التي تقتضي مهارة Skilled

يتضح مما تقدم ان درجة الذكاء ترتفع وتنخفض مع الاجناس بارتفاع وانخفاض المهنة . وبعد عن ذلك الطبقة التي تحت اسفل دركات الذكاء ولكن هذه الفئة قليلة في الوسع اهمالها . والطبقة الخطيرة التي تؤثر في مشكلاتنا الاجتماعية هي طبقة ضعاف العقول البلهاء Idiots و Imbeciles واضرابهم في اميركا والقوّاد في العالم اجمع فهذه الفئة ضربت الرقم القياسي بالشحاذة والتسكع والبغاء والخلاعة ورثماً عن كثرة وفياتها فانها ترداد بصورة مستمرة ونذكر على سبيل المثال نموذجاً واحداً منها اي من ضعاف العقول : Jukes وهو اسم مستعار اميركية في انديانا كان ما يحسب رواية الدكتور بنار احد عشر ولداً لقاء لكل منهم اب غير اب الآخر . وكان لأحدى بناتهم الصبية ايضاً ثمانية اولاد غير شرعيين سبعة منهم بمقاسمها الذكاء ولدت احداهن اربعة اولاد غير شرعيين فتحدر من هذه الفئة فقط ٢٣ ولداً غير شرعيين وتحدر من صلب بوني ٥٩ شخصاً ٣١ منهم قاصرو العقول و ١٨ من هؤلاء عالة على المعاهد الخيرية وعاش ١٦ منهم ٧٢ سنة على النفقات العامة وكلفوا مقدار ١٠٨٠٠ دولار. هذا فرع من اسرة تبلغ ٦٧٧ فرداً يمثلون سبعة اجيال ويوجد كثيرات من هذا النوع . يقول هوريتهم ان النساء القاصرات العقول سواء منهن المتزوجات او العازبات ولودات الدرجة قصوى فيلدن من ٥ — ٧ اولاد قبل سن ٣٠ واكثرهن يورثن ضعف العقل لاولادهن ويقول بوينو ان اشدهن نقصاً اكثرهن خصباً (٢) . وذكر السير جورج نيومان مدير صحة بريطانيا ان في عُشر الشعب البريطاني من ناقصي العقول (٣)

(١) The Eugenic Predicament, p. 96
(٢) The Eugenic Problem, pp. 96-97
(٣) Eugenic Sterilization, 1936